

معرف الكائن الرقمي للمقال (DOI): 10.54240/2318-011-003-014

**ثنائيات السلطة والمجتمع ببايك وهران تحت إختبار الغزو
الفرنسي 1830.**

The dualities of power and society in the Beylik of Oran under
the test of French conquest in 1830.

اسم ولقب المؤلف المرسل: بن يوسف محمد الأمين- Benyoucef Mohamed صص 272-296
الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه- جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2- الجزائر.
البريد الإلكتروني: mohamed.benyoucef@univ-mosta.dz

تاريخ استقبال المقال: 2021/06/30 تاريخ المراجعة: 2021/07/07 تاريخ القبول: 2021/09/05

الملخص: لازال الوجود العثماني بالجزائر ليومنا هذا، يثير في جوانب منه إشكاليات عديدة،
اختلف حولها المؤرخون والدارسون، بخاصة ما تعلق بتحديد طبيعة هذا الوجود،
امتداداته السياسية والاجتماعية، وكذا درجة الإجماع التي تركها حول مسألة وحدة
المجتمع الجزائري ومدى توازنه، وهل ارتقى فعلا كما يدعي البعض خلال الفترة لدرجة
التماسك؟

ولأن السياسة ليست في الحقيقة إلا ترجمة وتعبيرا عن توازنات المجتمع وتناقضاته
وحركته التي تعبر عن تغيراته وتحولاته المستمرة، فإن التناول الحقيقي للمسائل السابقة لا
يجب أن يكون اعتباطيا وعاطفيا، بقدر ما يجب أن يكون محتكما لرؤية واقعية لفواعل
السلطة والمجتمع السائدة آنذاك، وتتبع تفاعلها في أوقات الأزمات التي هي أوقات الإختبارات
الحقيقية، لأن الأزمة الداهمة كالغزو الأجنبي مثلا، يُفرض فيها الإصطفاف بوضوح، وتبرز
معها كل التناقضات الهيكلية الموجودة في المجتمع السياسي، كما تلغي كل الإرتسامات
السطحية الخادعة والظرفية.

إن تطبيق النهج السابق على ثنائيات السلطة والمجتمع ببايك وهران، كشف لنا
الواقع المرير لثرهل السلطة، وهشاشة المجتمع وانقسامه المتعدد (أتراك- عرب/مدينة-

ريف/مخزن- رعية/مرابطين- أجواد... إلخ)، بالشكل الذي جعل جزءاً من الثنائيات السابقة يتحول للقيام بدور "دولة عميقة" تعارض أي تطور يلغي سلطتها، قد استغلها المحتل الفرنسي في إجهاض وإعاقة تكوين واستمرارية أي دولة محلية وليدة ذات بعد وطني، كما حصل مع دولة الأمير الحاج عبد القادر المؤسسة حديثاً.

الكلمات المفتاحية: السلطة؛ المجتمع؛ بايلك الغرب؛ الغزو الفرنسي؛ المخزن؛ الأتراك؛ وهران؛ مستغانم؛ معسكر؛ تلمسان.

ABSTRACT: Ottoman presence in Algeria -to this day- still raises many problems in aspects of it, about which historians and scholars differed, especially with regard to determining the nature of this presence, its political and social extensions, as well as the degree of consensus that it left on the issue of the unity of Algerian society and its balance during this period. It actually rose, as some claim, to the point of cohesion?

Politics as a translation and an expression of the balance, contradictions, and movement of society, the real handling of the previous issues is through realistic vision of the prevailing power and society intractions in crisis times, like a foreign invasion that alignment is clearly imposed, and the existing structural contradictions emerge.

Using the previous approach to the dichotomies of power and society in Oran Beylik revealed truly to us, the slackness of the first, the fragility and division of the second (Turks/Arabs; City/Countryside; Mekhzen/Raaia; Murabitins/Ajwads;... etc.), in a way that made part of it turned into a "deep state" that opposed any progress that cancels its authority, and the French occupier even exploited it to abort and obstruct any local state with a national dimension, as happened with the newly established state of Emir Abdelkader.

Keywords: power; society; Beylik; French occupation; Mekhzen; Oran, Mostaganem, Tlemcen, Mascara.

مقدمة: كان توقيع الداي حسين على معاهدة تسليم مدينة الجزائر للغزاة الفرنسيين في 5 جويلية من سنة 1830، إيذاناً بانقلاب جذري للأوضاع السياسية والأمنية في بايلك الغرب، على غرار ما حصل في البايكات الأخرى، وإن بدرجات متفاوتة، فانهيار مركز نظام الحكم العثماني بالبلد اعتبر فرصة مواتية حاولت الإفادة منها مكونات وزعامات سياسية واجتماعية عدّة، مختلفة الأصول والتوجهات، وحسب تعبير الفرنسيين فإنّ "... كل من وجد نفسه أو اعتقد أنه بإمكانه الاستفادة من إختلال النظام في البلد قد سارع إلى رفع

رأسه...¹، ليس فقط ضد المحتل "الصليبي" أو "الكافر" كما سمي آنذاك، ولكن كذلك ضد ممثلي الداي في الأقاليم الثلاثة، وهو ما كان يعني بالضرورة لباياتها، إما أخذ زمام المبادرة أو انتظار مصير محتوم تحكمه تراكمات الماضي أكثر من آمال المستقبل.

إن تحليل جملة الأحداث والأوضاع القائمة بالبلد والبايلك إذاك، من سقوط العاصمة إلى إحتلال وهران على مرحلتين، وانغلاق مدن البايك على نفسها، والفوضى السائدة، وغياب البديل وسرعة التصرف، وبداية المقاومة التلقائية الريفية بالخصوص، ثم تلك المنظمة بعدها، يستشف منه وجود عدم قدرة على الصمود واضحة المعالم، وهشاشة كبيرة على كافة المستويات، لا بسبب انعدام وحدة الرأي ضد الخطر الداهم، ولكن وبالأساس بسبب ثقل وطأة "ثنائيات" السلطة والمجتمع المكرسة من قبل نظام الحكم منذ مدة طويلة، وأصبح يصعب صيانتها مع مرور الوقت، خاصة في المرحلة الأخيرة (الثالث الأول من ق19)، ولم يعد فيها ذلك التفاعل الطبيعي بين السلطة والمجتمع، قادرا على التعبئة الجمعية والشاملة أوقات الأزمات، إن هذا يبرز بوضوح أكبر في بايلك الغرب لخصوصياته وتوالي الثورات فيه، ونمو الروح القومية لدى السكان، دون إغفال التأثير المغربي...، لكن قد شهدته أيضا البايلكات الأخرى بدرجات متفاوتة.

إن دراسة هذه الثنائيات- وهو ما نقوم به في هذا المقال- عبر قراءة تحليلية للأحداث التاريخية، والربط بين التفاعلات الحاصلة مهم جدا لإعطاء تفسير لما وقع بمدن البايك وأريافه، من تباين للمواقف بينها، ولكن أيضا وبطريقة غير مباشرة، لتفسير المسار الذي اتخذته مقاومة الأمير عبد القادر، أكبر مقاومة عرفها البايك والجزائر عموما، ومشروع الدولة الكبير الذي حملته، وأجهضته للأسف تداعيات انهيارهاته الثنائيات التي سنتناولها أدناه، وذلك بعد آمال كبيرة كانت معلقة عليه.

1- سلطة مترهلة ورعية غاضبة: إن ممثل السلطة في البايك الباي حسن²، كان قد أرسل خليفته بُوْرصَالِي³ نائبا عنه إلى الجزائر لأداء "الدنوش"⁴، الذي تزامن مع إنزال الفرنسيين بسيدي فرج⁵، وسرعان ما وصله مكتوب خليفته باستيلاء الفرنسيين عليها، فأغلق أبواب وهران على نفسه، وهو ما كان يعتبر بعد شيوع خبر ضياع "دار السلطان" انسحابا من ممارسة الحكم، لقد فتح ذلك إذا باب الفوضى في البايك على مصراعيه⁶.

إن هذا التصرف يدل على تخوف الباي حسن من مستقبل غامض، زاده غموضا توجسه من انتقام قد يحصل له من رعية قد سامها في الماضي ألواناً من الظلم والقهر، هاته السلبية جعلته لا يقوم بأية مبادرة حقيقية ذات معنى سياسي تخص مستقبل البايلك، غير انتظار مصيره في ظل ما ستسفر عنه الأيام المقبلة⁷.

هذا التصرف كذلك، يؤكد أن منظومة الحكم في الجزائر ككل، وفي بايلك الغرب خصوصاً كانت "مترهلة جداً"، تعيش آخر مراحلها حسب التحليل الخلدوني، حيث لم تعد قادرة حتى على الإفادة من فكرة الجهاد ضد "الكافر الصليبي" المتوهجة جداً إذاك، والتي كانت عامل وحدة، ووسيلة تبرير لسلطة، غطت على مظالمها وجورها، فلطالما عاشت على وقع مقارنة أمنية-ضرائبية، قائمة على تسيير العنف والإكراه وإحتكار الحكم، وهي الآن قد وصلت إلى نهايتها⁸، ضف إلى ذلك أن هاته السلطة كانت مكونة آنئذٍ من باي مسن، مرفوض من القبائل وفاقد للشعبية، تحيط به جماعة من الأتراك والكرغلة، ويسنده في حكمه لقبائل "الرعية" وما شاكلها مخزن حليف له، ولكن بقوة "البارود"، لما ربطه به من تبادل للمنافع والإمتيازات، وقد أنتجت تصرفات هاته السلطة ذات الطبيعة العسكرية المفرطة، تمردات وثورات متوالية قد أنهك قمعها، وولدت بذاتها أحقاداً أخرى يصعب نسيانها⁹، وبعد سقوط العاصمة أصبح يُقَيِّضُ مضجعه الجين، صعوداً متنامٍ لبعض الزعامات "العربية" المحلية المنافسة على غرار الشيخ محي الدين والد الأمير عبدا القادر، اختطف منه مكانته، ووضعته وهو لا يزال بايا على الهامش، فإذن "في بايلك وهران السلطة المترعزة [المرفوضة] للباي حسن المُسَيَّن، قد تركت المجال للتأثير الحصري للعنصر العربي، والذي مازال حتى الآن مبعداً من قبل الأتراك من الحكم والسلطة..."¹⁰.

أمام هذا الوضع لم يكن أمام الباي حسن، وبتأثير من بعض اليهود، إلا تقديم عروض ولاءٍ للحكام الجدد، فقد تلقى الجنرال دو بورمون منه "...عروض خضوع لم يمكن رفضها، بغض النظر عن كل الرؤى التي ستقدمها الحكومة فيما يتعلق بهاته المقاطعة..."¹¹، فهو الآن "...باعتباره مضغوطاً بين عدوين فضل أن يلقي بنفسه بين أحضان الفرنسيين، كونه متقدماً في السن وعيياً من الحكم والسلطة، لم يطلب إلا انسحاباً وتقاعداً يمكنه من أن يتمتع بالثروات التي جمعها..."¹²، ولأنه أثر التفاوض على مصالحه الذاتية قبل مصلحة

البايك، على غرار الداوي حسين في "المحروسة"، فقد رافق هاته المفاوضات التي تمت بينه وبين النقيب دو بورمون (الإبن)، إنزال حامية عسكرية بالمرسى الكبير في 27 جويلية 1830، دون تسجيل أي مقاومة للأتراك به، وكيف تكون وقد "...ألفى الباي سبيلا لنجاته بأهله وماله من المال..."، بل "...وصار البيع بينهما في غاية الحال..."¹³.

في ظل موقف الأتراك، غادر معظم السكان وهران، وقد حاول الجنرال دو بورمون تأكيد إحتلال المرسى الكبير بحملة ثانية أقلعت من الجزائر في منتصف أوت 1830، ولكنها ما كادت تصل خليج وهران، حتى أتاها الأمر بالرجوع، بما في ذلك من نزلوا قبلاً بالمرسى الكبير، بفعل الأخبار الواردة من فرنسا بانهيار حكم الملك شارل العاشر، والتغيرات الحاصلة على رأس قيادة جيش إفريقيا¹⁴.

لقد استغل الباي ذلك وبقي في وهران رغم العروض التي تلقاها بمرافقة الفرنسيين نحو الجزائر ورغبة أترাকে في ذلك، ولكنه أبدى رغبته أخيراً في البقاء بوهران عند "العرب"، رغم أنه أكد ولاءه لملك فرنسا¹⁵، لعل مغادرة الفرنسيين وتخبط مشاريعهم تجاه البايك بداية، أرجعت له الأمل بالبقاء باياً، لذا فقد راسل حسب رواية سلطان المغرب الأقصى مولاي عبد الرحمن بن هشام بالتولي على البايك "...لأنه الأولى به من الروم..."¹⁶، ولكن تولية الجنرال كلوزيل الحازم تجاه أي تدخل مغربي وتوسعه في البايك أنهى أمله، فأمر الجنرال بتوجيه حملة ثانية مستعجلة على وهران بقيادة الجنرال دامريمون، تمكنت من إحتلال المرسى الكبير يوم 14 ديسمبر 1830، وبعد أيام سادها الحذر الشديد، دخل دامريمون إلى وهران في 04 جانفي 1831 بطلب من الباي حسن، دون مقاومة معتبرة سوى بعض المناوشات، ليتم جلاء الباي حسن بثرواته إلى منفاه الإختياري بالإسكندرية، ولم يخلف هذا الإبعاد غير بعض الإضطرابات في صفوف الأتراك والكراغلة التي سرعان ما هدأت، لأن سكان المدينة من الحضر الذين شعروا بـ"خيانة" الباي كان معظمهم قد غادر قبل دخول الفرنسيين حتى، وهذه الإضطرابات -في نظرنا- كانت دليلاً على فوضى مرحلة انتقال، أكثر منها على أثر لحجم السلطة التي كان يمثلها الباي المبعد، إذ أن هذا الأخير ولم يكن -حسب تعبير الأمير- أكثر من "...ممثل بغيض للجبروت التركي..."¹⁷، ولم يكن بالإمكان حتى ضمان حمايته، إن هذا يكشف بوضوح حقيقة انغراس حكم الأتراك المفتقد إلى

المشروعية التي هي أساس قيام الولاية، يرجع البعض ذلك لأنهم "...كانوا يحكمون الجزائر دون الإتجاه إلى ربط المجتمع بحكمهم، حيث ظلت العلاقة وباستمرار نفعية بحتة..."¹⁸.
2. البايلك بين "الأتراك" و"العرب": برزت هاته الثنائية بوضوح في بايلك الغرب¹⁹، نظرا لكون أغلب سكانه كانوا من العرب، أو من القبائل البربرية "المتعربة" التي لم تكن تختلف الشيء الكثير عن العرب وعاداتهم، وبالنسبة للأتراك عموما ورغم أنهم كانوا كثيرا ما يقمعون الكراغلة، إلا أن الأخيرين كانوا دائمي الإصطفاف معهم، خاصة عندما يتعلق الأمر ضد العرب، إذ كان أقصى مناهم أن يصبحوا "أتراكا كاملي الحقوق"، وهم موجودون مع الأتراك في البايلك، ولكن ليس خارج المدن والقلاع²⁰.

يعتقد البعض أن العلاقة التي حكمت بين الطرفين (الأتراك/العرب) كان يفرضها الوجود المشترك في نفس المنطقة، ولم تكن نابعة من رغبة حقيقية وعميقة منهما في العيش المشترك والمصير الموحد، هذا الأمر عبر عنه محفوظ قداش بسؤال "...هل يقوم العهد التركي على أساس جماعتين عنصريتين متميزتين، أم كانت هناك محاولة للإندماج بين الأهالي والأتراك؟"²¹، إن عدم وجود إجابة مقنعة جعل البعض يجزم بأن وجود الأتراك بالمنطقة كان إحتلالا²²، بينما عارض البعض هذا الطرح بشدة²³، ما جعله يبدو متطرفا لكونه لم يحمل مواصفات الإحتلال، فإنه بالنسبة لآخرين، إذا كان لا يمكن أن تجتمع مواصفات وشروط الإحتلال فيه بالكامل، ومن حيث المبدأ، فإنه على الأقل لم يفقد كليا هاته الشروط في جوانب منه²⁴، وأنه لم يكن من رابط أساسي بين الطرفين يعطي للأتراك شرعية الحكم، غير شرعية وحدة الدين وجهاد المعتدين و"الصليبيين"²⁵، ومهما كان يجب أن نقر بأن سلطة الأتراك ومحيطها التي انغلقت على نفسها طيلة ثلاثة قرون، لم تستطع في الواقع كسب ود القبائل العربية التي كانت تمثل أغلبية السكان في البايلك، تدل على ذلك الثورات والتمردات الواقعة بالبايلك التي أصبحت مناهضة للأتراك كقوة إجتماعية، وليس لنظام حكمهم فقط، خاصة في المرحلة الأخيرة (حينما تصرفوا كأتراك وليس كعثمانيين)، ولولا حجة جهاد الإسبان واستغلالها بعض الإختلافات المحلية لما كان لها أدنى قبول فيه، لذلك فهي قد وسعت مقاربتها المبنية على العنصر والفئة للحكم، المتمثلة في الأتراك- العرب لتصبح مدينة- ريف، وحضر- بدو، وهو ما جعل البعض ينفي حتى وجود

مقاومة ضد الفرنسيين في البداية، بل مقاومة للأتراك بالبايلك في إشارة إلى وجود صراع أعراق بالبايلك²⁶، وهذه نتيجة بديهية لإثارة التفرقة واستدامتها بين سكان البلد وداخل القبائل ذاتها، كَيْمًا تسود هي في الحكم²⁷، الأمر الذي جعل الفرنسيين فيما بعد يدركون قيمة هذا الأسلوب في الحكم، ويرونه جديرا بالدراسة والتطبيق، وقد نجحوا في ذلك فيما بعد أيما نجاح²⁸.

لقد كانت قناعة الأتراك في الجزائر اتجاه أنفسهم أنهم "خلقوا ليحكموا"، و"وُجِدُوا ليعدهم غيرهم"، بشكل جعل ذلك يصبح متوارثا، فهم لم يرحموا حتى "أبناءهم" الكراغلة الذين كانوا بدورهم مقصيين من الحكم والسلطة والوظائف السامية حتى أواخر عهدهم، وإن اختلفوا عن العرب فذلك لأنهم يسكنون جوار الأتراك في المدن، وأن يكونوا أتراكا هو أسمى غاياتهم، ولم ينج من هذا التعميم إلا القليل منهم.

وبالنسبة للعرب فهم من جانبهم كانوا يرون "أن الأتراك كانوا يحتقرونهم احتقارا كبيرا ويعاملونهم معاملة العبيد..."²⁹، ولم يستطع الأتراك أن يحصدوا غير ما زرعه من كراهية، والتي لم يتم التنازل عنها حتى في أخرج الحالات حيث وجب التنازل، حين سقطت الإيالة في يد الغزاة الفرنسيين³⁰، لأن "الكراهية بين العرب والأتراك قد بلغت حدا كبيرا، إلى درجة أن الأتراك فضلوا الخضوع للمسيحيين على الخضوع لمن كانوا لهم في فترة سابقة عبيدا..."³¹.

لذلك حين أنهى الفرنسيون باحتلالهم للجزائر الحكم التركي، استغل العرب هذه اللحظة ليتخلصوا من نير ممثليهم³²، "فثاروا على خلفاء الأتراك وباشواتهم في كل مكان...، وبما أن هؤلاء لم يتلقوا المساعدة من أي جهة، فقد اندحروا في وقت قصير تماما أو التحقوا بالفرنسيين ليحتموا بهم، مثل باي مستغانم إبراهيم بوشناق..."³³، وهنا فإن "ما تبقى" من الأتراك والكراغلة الذين لم يغادروا الجزائر بعد موجات الإجلاء القسري لهم من قبل دي بورمون، لم يكن دافعهم فقط الحصول على حماية الفرنسيين لهم، بقدر ما قد غلبت على بعضهم "روح الإرتزاق" التي غذاها أكثر رفضهم الخضوع للعرب، لذلك فهم كانوا يعرضون خدماتهم على الفرنسي الذي أدرك فيما بعد قيمة خدماتهم، وندم على التفريط فيهم في الأول: "لقد ندمنا أكثر من مرة منذ 1830 على طردنا لكل الأتراك، وقد إعترفنا

بذلك ولكن في وقت متأخر جدا، بأن هؤلاء الأشخاص كان يمكنهم أن يقدموا لنا خدمات عسكرية كبيرة جدا، لقد كان غالبيتهم -إن لم نقل كلهم- يريدون العمل لصالحنا..."³⁴، وأخيرا بالنسبة لسعد الله أبو القاسم: "...لو لم يكن الفرنسيون يعرفون مدى شعور الجزائريين العدائي نحو «العثمانيين الأتراك»، لما خاطبوهم في بيانهم المشهور بتلك اللهجة..."³⁵.

3. المدينة والريف: عداوة المركز والأطراف: رغم وجود جملة من التمايزات بين المدينة والريف قبل ظروف الغزو الإستعماري المستجدة، إلا أنها قد اتضحت أكثر في هاته المرحلة الحرجة بالذات، أين كان يجب الإصطفاف بوضوح ودون دبلوماسية أو موارد، وأصبحت تمثل أكثر ما يعيق توحيد بايلك وهران تحت "زعامة جامعة".

كانت المدينة قبل ذاك تمثل مركز الحكم والسلطة السياسية والإدارية، وهي مأهولة بعناصر تبدو على درجة معينة من التجانس التراتبي، فالأتراك أولا جماعة³⁶ مسيطرة وحاكمة، ثم الكراغلة، ثم الأندلسيين والحضر مور-أندلسيين وعرب، ثم بعض أصحاب الطوائف والحرف بسكرية، مزاب، لغواطية، ثم اليهود والأجانب، وقد تشمل بمفهومها الواسع أحياء عربية خارجية انحدرت من "البرانية" أي "بدو متمدين"، كانت المدينة تعتبر مركز التجارة والصناعة والحرف، ولم يكن هناك ما يجمعها بالبادية والأرياف أكثر من التعاملات التجارية في الأسواق، وهي تستفيد أكثر من المداخل الجبائية المتأتية من الضرائب المفروضة على القبائل، على شكل خدمات أو أوقاف أو غيرها، ولكن ما يفرقهما كان أكثر من ذلك بكثير.

يعتقد البعض أن المجتمع الجزائري لم يكن مفككا، "...لأنه لو كان هناك تفكك بين تلك المجموعات كما يزعم الأوروبيون، لما وصلت الجزائر إلى أوج عظمتها في القرن 17 وجزء من القرن 18..."، كما أنه "...يشكل طبقة متماسكة، يكاد لا يظهر التفاوت بين فئاتها..."، مضيفا: "...وأما مسألة الثورات وحركات التمرد فنجدتها عند المجتمعات التي ترفض الظلم الإستغلال..."³⁷، ما يجعلنا نعتقد بوجود وحدة حقيقية بين الثنائيات، ولكن مجمل الواقع التاريخي يخالف ذلك كله، بدءا بالصورة النمطية والذهنية التي يحملها كل طرف عن

الآخر، مروراً بتفاعلات الطرفين مع الواقع السياسي والأمني، وصولاً إلى المواقف المتخذة خلال أوقات الأزمات.

إن الصورة النمطية التي رسمها معظم سكان المدن عموماً عن سكان الريف أنهم "عرب"، "أعراب"، "برابر"، "بدو"، "غدارون"، "سلبية ونهابون"، "قطاع طرق" ...³⁸، لا يؤمن جانبهم بالمرة، لقد كانوا دائماً ما يغلقون أبواب مدنها عنهم ليلاً خوفاً منهم، فضلاً عن احتقارهم لغشامتهم.

وإذا كانت عداوة القبائل العربية للأتراك كمكون سياسي معروفة، وأشرنا إليها سابقاً باستثناء قبائل المخزن، والتي- حسبنا- كانت أداة بيدهم أكثر منها مكوناً منهم، فإن أهل الريف والبادية كانوا ينظرون إلى بقية سكان المدن على أنهم مجرد "سماسرة" و"تجار مغرورين" من العار الخضوع لهم، رغم أن منهم عرباً حضراً ظاهراً، فهم لا يرتفعون في نظرهم فوق "اليهود" إلا بقليل³⁹، "رغم هذه الإندماجات الجزئية، فإن العرب الأقحاح لزالوا ينظرون باحتقار للمور [الأندلسيين] الذين يسكنون المدن، وهم يصنفونهم أفضل قليلاً من اليهود..."⁴⁰، لقد استنتج ذلك بيليسي دورينو عندما حلل الحساسية الموجودة بين الطرفين، وذلك بناء على التجارب الواقعية للإدارة الإستعمارية الجديدة في الحكم آنذاك، وهو ما قد أدركه الفرنسيون متأخرين، ظهر ذلك جلياً حين عين دو بورمون، محمد ابن أمين السكة بايا على المدينة، متوقعاً خضوع العرب له⁴¹:

"... كان يظن أنه يفعل صواباً باختيار أندلسي [موري] أغا على العرب، لم يعتبر بأن هؤلاء العرب أنفسهم يحملون الكره الشديد للحضر، وقد أضاف لهذا الخطأ الأول، خطأ آخر، هو تعيينه من بين فئة التجار التي يزدهر بها العرب فوق كل وصف...، إن واحداً من أخطائنا التي دامت طويلاً، هو أننا إعتقدنا أننا نستطيع عبر اجتذاب جزء من المور [الحضر] أن نوسع سيطرتنا على بلد لا يملكون هم أنفسهم فيه لا سلطة ولا اعتباراً، العربي يمكن أن يخضع لفرنسي لأنه يمكن أن يعترف له بقانون الأكثر قوة، ولكن أن يخضع لحضري أو لتاجر، فإن ذلك يعني له وضع إهانة يجب أن يدفعه بكل ما يستطيعه من قوة..."

ولكن بالنسبة لأهل الريف كانوا أكثر من يمثلون السلطة الروحية والدينية، ويرتكزون عليها أكثر من أهل المدن في البايك، "...في بعض المدن مثل معسكر، كان الحضر والكراغلة يتقاسمون الحكم، وفي أوساط القبائل المحيطة بمعسكر، مارس المرباط محي الدين تأثيره الديني من أجل تأسيس قوة عربية صرفة، وتمهيد الطرق أمام ابنه عبد القادر..."⁴²، وهذا ما جعل روح المقاومة و"الوطنية" الراديكالية موجودة عند أرياف وبدو البايك أكثر منها لدى سكان مدن الإقليم، لأنه "...كالعادة كره إسم الصليبي [المسيحي] كان موجودا بقوة، وحيا في الأرياف أكثر منه في المدن..."⁴³، يؤكد ذلك حمدان خوجة حين يقول: "...والأعراب والبوادي ولله الحمد إيمانهم فيما يقدر من الجهاد وعدم تمكين الكفار من الخروج إليهم، إلا أنهم لا يعرفون كيف يرفعون شكواهم إلى السلطان لأنهم برابروا..."⁴⁴، وبذلك يتبين حجم الهوة التي كانت بين سكان المدن والأرياف في هاته المرحلة، والتي أثرت على توحيد الصفوف والمواقف وجعلت الثقة مفقودة بين الطرفين، بل في أحسن الأحوال بالنسبة لبعض الحضر من المدن كان هناك تردد، إن ذلك لم يكن حادثا أو مستجدا في هاته المرحلة فقط - وإن كان قد تفاقمت فيها وصارت أكثر وضوحا كونها أضيفت لها ممارسات - وإنما في نظر الكثيرين كان "...يعود ذلك التردد إلى الخلاف القائم بين المدينة والريف، إذ ينظر سكان المدن إلى البدو على أنهم «مصدر القلق والعصيان»، يميلون دائما إلى نهب الأملاك وسلبها..."⁴⁵.

وقد اتضح ذلك أيما اتضاح حين غاب "إحتكار القمع"، لقد كانت هجمات أهل الأرياف من قبائل وغيرها متكررة على المدن، أصبحت "...نار الفتنة ثابتة بين المسلمين بواديهما والحواسر..."⁴⁶، لكونها كانت مركز سلطة الأتراك المنهارة، لقد هوجمت كل مدن الإقليم من القبائل المحيطة بها، والتي طالما علقت بها رؤوس الثائرين القبائل بها، بدءا بوهران ومستغانم وتلمسان ووصولاً لمعسكر، ولكونها محصنة جدا فقد قصرت عنها أيدي القبائل، ولما ستفتح معسكر أبوابها سيتم إبادة الأتراك بها عن آخرهم.

4. الريف وتنازع الزعامات الدينية والدنيوية: لقد رأينا أعلاه بأن ثنائية المخزن والرعية كانت واضحة الوجود في باييك الغرب أكثر من غيره، ويبدو أن الاختلافات الموجودة بين الطرفين ستفرض نفسها أكثر في وقت الأزمة، لأنه - حسب إسترهازي - تراكمات الأحداث الواقعة في العهد التركي، تفسر للدارس بوضوح "...الأسباب الدائمة للإنقسام الذي وجد عند

وصولنا [الفرنسيين]، بين قبائل المخزن آخر بقايا سلطة انهارت، والقبائل العربية الأخرى التي تمثل قومية تسعى إلى إعادة التكوّن...⁴⁷، إذن فنحن أمام من يمثل ماضي أملتة ظروف معينة وتشبث ببقائه، فضلا عن أنه مستعد ليقاقل من أجله لآخر رمق، ومن يأمل في مستقبل يريد به تغييرا عبر التخلص من إرث هذا الماضي "الثقيل"، وعلى ضوء هذا سيحدث التصرف والإصطفاف.

إن قبائل مخزن وهران الرئيسية كانت تمثل وجود الأتراك في الأرياف أكثر بكثير مما تمثل "وجود" أو "مشاركة" العرب في حكم الأتراك، كانت روابط ولائها قوية للسلطة السياسية، فحيث تمتد هذه السلطة وتمارس وظائفها الردعية والجبائية كان المخزن موجودا وحاضرا، وبالمقابل أصبح نفوذ الدولة داخل البلاد في المرحلة الأخيرة من حكم الأتراك "...يقاس بمدى نشاط هذه القبائل..."⁴⁸، هذه المخالطة كانت عامل تأثر بهم في احتقارهم- ولو نسبيا- لباقى العرب، لأن "...هؤلاء كانوا دائما مع الأتراك في أيام حكم الأتراك، وكانت لهم حنكة ودراية في الحروب، ومن ثمّ تعودوا على ذلك الإحتقار للعرب الذي تفرّد به الأتراك وحدهم..."⁴⁹، وبالنسبة لهم، فإنه يجب أن يكونوا كما دأبوا دوما مع "الدولة" بغض النظر عن مدى شرعيتها أو مشروعيتها، بشكل جعل البعض "...يحيل إلى تناول الدولة هذه في أنها «دولة مخزنية»..."⁵⁰، كما إننا لا نغالي حين نقول أن الدولة محتاجة إليهم كأداة "إخضاع" و"سطوة" لتدعيم الإجراءات الإدارية والحربية، ف"... كل دولة تعتمد عليهم في الحركة والسكون، وبهم تتوصل لكل مطلوب ومظنون..."⁵¹.

حاول أعضاء المخزن (معظمهم) عرض خدماتهم على الفرنسيين في أول الأمر، بتوافق مع حكاهم السابقين الأتراك والكراغلة، فبعد أن انقسموا في تكتيك أولي بين الباى حسن حيث بقي مصطفى بن اسماعيل وفيها له، ومولاي علي مبعوث سلطان المغرب الذي انتقل لخدمته الحاج محمد المزارى من قبل، جربوا حظهم مع الحاكم الجديد فرنسا حين نزول حامية جيشها في الحملة الأولى بالمرسى الكبير، لقد "...أتاها كبراء المخزن بقصد الإذعان والخدمة المسهلة للعسير، فأبى ذلك كبراء المحلة وظنوا فيهم لغشامتهم عدم الأمان ... ولم يدروا أن هذا المخزن هو عين المراد، وأنه الذي به تفتح جميع البلاد..."⁵².

لذلك وحسب البعض لم يكن انضمام المخزن⁵³ لحركة المقاومة التي سبقت إليها قبائل الرعية الأخرى، أكثر من ضرورة للتموقع تملها الفوضى القائمة في غير حضور للبديل، وفي "...انتظار أن يرسم الوقت وكذا الأحداث بوضوح الوضعيات [المواقف]، ويسمح لكل أن يتموضع حسب طبيعه..."⁵⁴، ضف إلى ذلك أن الشيخ محي الدين الداعي لجمع القبائل إلى الجهاد، كان يحظى باحترام قبائل المخزن وزعاماته بكل تأكيد، كما أنه قد ندب إلى الصلح بين قبائل المخزن والرعية في نزاعات الثأر والانتقام التي اندلعت بعد سقوط حكم الأتراك، وحسب المزاوي فإن هذا الإحترام للشيخ "المرابط"، "...لما له من العناية بالخلف خصوصا المخزن وتفضيله له على النائية التحرير..."، ولكونه "...يروم الصلح بين الفئتين بحسب القوة والطاقة..."، ولما رأى بأن إطفاءها لا يكون إلا بجمعهم على الجهاد..."⁵⁵، لكن الأمر اختلف جذريا مع ابنه عبد القادر، الذي لم يحظى بما حظى به والده.

ونتيجة لتنامي الدور الذي لعبه المخزن مع تراجع نفوذ السلطة السياسية وترهلها في آخر عهد الأتراك، نجد أنه "...حين احتل الفرنسيون مدينة الجزائر، كانت هذه القبائل الأكثر من غيرها تماسكا وقوة..."⁵⁶، ولكن ستصبح رغم ذلك عرضة للانتقام منها على شاركت في اقترافه من تعسفات في الماضي.

وبالنسبة لـ"السلطة الدينية"، فإنه رغم جهود الأتراك في استثمار هذا العامل لصالحهم، والتي لطالما أتت أكلها في ضمان ولاء الرعية عبر صنع تحالف مع ممثلي السلطة الدينية من معظم الطرق الصوفية، إلا أن هذا التحالف فقد قوته مع مرور الوقت بثورات "المنافسين الزمنيين"، وانطفاء "شماعة" ومبرر جهاد "الكافر الصليبي" بعد تحرير وهران 1792، وانخفاض الموارد المتأتية من البحر المتوسط، وتوسيع قاعدة القمع الضريبي بفعل شراهة الإقطاعيين من البايات، المطالبين بدورهم بتأدية الدنوش وضمان الأمن، والأكثر من ذلك هو ظهور طرق صوفية أخرى أكثر راديكالية وثورية أعطت بعدا قوميا خاصة مع نهاية القرن 18 حتى الغزو الفرنسي، كالدرقاوية والتيجانية والعيساوية وغيرها، وهذا دون إغفال الدور التحريضي الذي كان يقوم به عمال المناطق الحدودية المغاربة، خاصة أن

البلاط العلوي كان يملك علاقات قوية بممثلي الطرق الصوفية خصوصا تلك الراديكالية منها⁵⁷.

ولهذا فإن التنافس بين السلطتين الزمنية والدينية، وبين الأرستقراطية المخزنية والفئة الدينية سيكون له دور كبير في رسم أحداث واصطفافات المرحلة القادمة، حيث تمكنت دوما الطرق الصوفية من استغلال وتعبئة قبائل الرعية الغاضبة للمتمردين والحد من نفوذ المخزن وبالتالي حكامه المباشرين⁵⁸.

5. بين الفوضى والتدخل الأجنبي: كان وصول خبر سقوط العاصمة لوهراة إعلانا لثورة عارمة ضد الأتراك، وفتحا لباب الفوضى به، وإن كانت الإيالة بكاملها خضعت لأعمال عنف وابتزازات بشكل يومي⁵⁹، كنتيجة بديهية لغياب النظام، فإنه في وهران بالخصوص، "كان سكان البايك متمتعين بحرية غير محدودة من أجل القيام بحروب الجيرة..."⁶⁰.

إن الحرية غير المحدودة التي أضحت فيها الإقليم صعبت من إيجاد أي سلطة موطىء قدم لها به، لا الأتراك ولا الفرنسيون ولا الزعامات الدنيوية المحلية تمكنت من ذلك، لأن "العرب الذين كانوا متعودين على الحرية الريفية، كانوا ينظرون نظرة عدائية إلى الفرنسيين، وإلى كل سلطة تفرض عليهم، ثم إنهم كانوا يناصبون العداء لبعضهم بعضا..."⁶¹.

وهذا إن دل على شيء، فهو يدل عكسيا على أنه لم تكن هناك زعامة سياسية أو عسكرية بحتة، مهيمنة ومرجعية، لها القدرة على الحلول محل النظام السابق، بفعل تصحير هذا الأخير وقضائه على كل المنافسين، لذلك فقد ساد نوع من التكافؤ بين تلك الزعامات سواء كانت مخزنية أو دينية أو غيرها، فـ "بين جملة من القادة المسلحين، لم يستطع أي واحد منهم فرض نفسه على الآخرين وتأسيس سلطة حامية له، فكل واحد استطاع كبح تفوق الآخرين دون أن يتمكن من فرض الإعتبار بقوته..."⁶²، وهنا سبرز دور بعض "رجال الدين" في الأوساط الريفية والبدوية، كالشيخ محي الدين والد الأمير، لكبح جماح الفوضى بالإقليم.

واغتناما لهذه الفوضى فإن البايك سينازع فيه القوى المحلية بالإضافة للمحتلين الفرنسيين، قوتان خارجيتان و"شقيقتان" طامعتان بدرجة متفاوتة فيه، وفي مداخله

أيضا، لا يفرق بينهما إلا أن إحداهما ساندت الإحتلال، والأخرى عارضته إلى حين، تمثلت الأولى في "التوانسة"، والثانية في "المغاربة" على حد تعبير سكان البايك.

ففي الوقت الذي كان يتم فيه إجلاء الباي حسن عن وهران، كان الجنرال كلوزيل، يتفاوض مع التونسيين على "بيع الإقليم"⁶³ لهم، كما حصل لبايك قسنطينة⁶⁴، إن هذا المشروع الغريب الذي خمنه الجنرال بشكل انفرادي، كان يمكن أن يكون مقبولا إلى حد ما لو تم مع السلطان المغربي، نظرا للقرب الجغرافي ووجود تأثير روحي معين للسلطان على البايك، إن لم نقل قبول مبدئي بسلطته لدى شريحة واسعة من القبائل العربية في الإقليم، ولكن ربما كان الهدف هو مقابلة الوجود المغربي بالوجود التونسي لقطع الطريق أمام الأول.

انبنيت فكرة الجنرال كلوزيل على قناعة توصل إليها، ألا وهي وضع أحد أمراء الأسرة الحاكمة بتونس بايا على باييك وهران، نظرا لإستحالة إخضاع العسكري لمقاطعة وهران على غرار قسنطينة، في ظل ظروف يصعب فيها الحصول على دعم من باريس، وقد بدا للجنرال أن هؤلاء التوانسة يستمدون من أسرهم ودينهم عدة وسائل للتأثير، حيث لطالما استعملت وجاهة النسب والدين وسائل إخضاع وترويح، بل وتخدير سياسي أيضا، الشيء الذي افتقدته الإدارة الإستعمارية آنذاك، وبما أنهم سـ "...يجبون الضرائب لفرنسا ويعترفون بسيادتها..."⁶⁵، فهم إذن "...سيكفون الجيش الفرنسي ويوفرون عليه مخاطر الإحتلال وكذا عقبات الإحتفاظ به..."⁶⁶.

سارت المفاوضات بين الجنرال كلوزيل وباي تونس عبر ممثلين له رغم بعض العوائق، وقد أسفرت عن تعيين سيدي أحمد باي⁶⁷ بايا على وهران، بمقتضى إتفاق موقع معه في 06 فيفري 1831⁶⁸، وقد أرسل هذا الأخير قائده العسكري الأغا خير الدين، مرفوقا بأحد الجزائريين من الزمالة الذي كان فارا إلى تونس⁶⁹، ووصلوا إلى وهران بحرا على طليعة قوة عسكرية صغيرة تقدر بـ 250 فردا يوم 11 فيفري 1831، وعند وصوله انضم إليه الأتراك والكراغلة الذين تركهم الباي في وهران⁷⁰.

لقد صدم التونسيون بما وجدوه في المدينة والباييك فعلا، مدينة فارغة بفعل مغادرة سكانها لها، قبائل عربية لا يمكن أن يتم إخضاعها، نفوذ مغربي قوي في الإقليم،

والأكثر من ذلك فوضى شاملة، ففي مراسلة له بتاريخ 18 فيفري 1831، أبدى الآغا خير الدين رغبة في الرجوع إلى تونس، لأن الوضع الموجود عليه الإقليم لم يكن يتصوره إطلاقاً⁷¹، الشيء الذي جعله لا يغادر أسوار المدينة ويعيش في البداية حياة صعبة بفعل مقاطعة سكان البايك له وخلو المدينة، وفي الحقيقة لقد بدا خير الدين منذ الوهلة الأولى فاقدا للذكاء وآليات التصرف والتأثير حسب الفرنسيين، لقد فشل في اجتذاب السكان والقبائل إليهم، لأن "الكراهة ومعاداة التونسيين كان تقليديا ومعروفا في إيالة الجزائر..."⁷²، وزعامات المخزن كانت قد دخلت في خدمة سلطان المغرب وعامله بمعسكر ابن العامري.

أمام هاته الأوضاع يبدو أن خير الدين قد حاول الإستثمار في الفوضى لصالحه بفرض سلطانه بالقوة، قام رفقة مليشياته من التوانسة وبقايا المرتزقة من الأتراك بالعديد من المجازر ضد القبائل العربية المجاورة، فحسب رواية المزارى التي أخذها ممن عايش الفترة، فإن "...التونسي أول عمله هو أن خرج بجيشه وغزا بالساحل دواوير حميان، فغنم منهم كثيرا وأسروا كذا، وقتل واجتز خمس مائة رأسا أتى بها على الأعمدة لوهران..."⁷³، كما قام بمجازر أخرى بلغت حتى قبائل منطقة مستغانم، وخلفت صدى كبيرا حتى لدى الفرنسيين⁷⁴، "...المدة القصيرة لحكم التوانسة بوهران في 1830، قد تأثرت بهذه التنافرات الوطنية، ولأنها استقبلت بكره وعداء، فقد تم ممارستها بقسوة، ولم تستقبل المدينة والأقاليم المحيطة بها إلا البؤس واللاعزل والظلم..."⁷⁵ كما عبره عنه ذلك الفرنسيون.

كما أن حكم التوانسة بوهران لم يسلم من الفساد والإستثراء، لقد اتهم الجنرال بوايه الآغا خير الدين، بأنه منذ وجوده بوهران لم يعكف إلا "...على زيادة ثروته خلال كامل المدة التي حكم فيها التونسيون المدينة..."⁷⁶، حيث أصبح "يتاجر" في كل شيء، ويفرض الضرائب على كل شيء، من "القمرق" إلى بيع رخص التصدير، إلى النهب والسلب عبر الحملات العسكرية المسيرة مع الأتراك⁷⁷.

وبمجرد بلوغ صدى هذه الأعمال للقبائل المختلفة، زادت الكراهية الموجودة أصلا تجاه التوانسة والأتراك، وهو الدافع الذي جعل الفرنسيين يتخوفون من تأثيرات ذلك على البايك، فانسحب ممثل أمير تونس، وأعادت الفرنسيون إحتلال وهران، وحسب الفرنسيين

"..عندما تم رفض التصديق على ما يسميه التونسيون معاهدات، فإن هذه التجربة لم تخلف كبير ندم عليها..."⁷⁸.

وبالنسبة للتدخل المغربي فإن معظم القبائل العربية خاصة المحسوبة على "الرعية" منها، قد اتفقت وأرسلت رسلا وبعثات إلى فاس إستنجادا بالسلطان المغربي، بمن فيهم زعماء القبائل وشيوخ الزوايا والمرابطين⁷⁹، وكذلك الأمر بالنسبة سكان تلمسان بالخصوص الحضر منهم⁸⁰.

بعد التفكير مدة، أرسل السلطان جيشا بقيادة ابن عمه مولاي علي إلى تلمسان، بمساعدة خليفته سيد أحمد الحجوطي، وقد دخل الأول إلى تلمسان في 09 ديسمبر 1830 عدا قلعة المشور التي امتنعت منه، وأرسل الثاني إلى معسكر، ويبدو أنه كان هناك قبول مبدئي من قبل قبائل الإقليم للدخول تحت طاعة السلطان المغربي، لولا أن المعاملة السيئة للسكان وبعض زعماء القبائل المخزنية من قبل ممثليه الأولين، قد أثارت سخطا عاما في البايك⁸¹.

بالنسبة للفرنسيين لقد كثر أعداؤهم، ف..."لم يكن العرب وحدهم من يجرون بالأسلحة في البايك في جميع الإتجاهات، كان هناك عدو أكثر قوة يهدد باحتلال مرتقب، هو سلطان المغرب..."⁸²، خصوصا أنه كان هناك له نفوذ قوي ليس بالباييك فقط، بل حتى في بايكي التيطري وقسنطينة، لذلك تم التعامل معه بسرعة وحزم، فبعد إعطاء الأوامر لدامريمون لدخول وهران لتأكيد الحضور الفرنسي على الأرض، شرع في مفاوضات سريعة لانتداب التوانسة لحكم البايك لمواجهة التأثير المغربي، في نفس الوقت هدد كلوزيل السلطان المغربي بكل قوة، وقد أدى ذلك إلى تدخل وزارة الخارجية والقنصل الفرنسي بطنجة أوفري لتهدئة عباراته⁸³.

قد بدا للوهلة الأولى أن المغاربة كانوا مصريين على تحدي الفرنسيين، وتشبث السلطان بموقفه العدائي تجاه الفرنسيين، لقد تحدثت تقارير فرنسية عن تزويد الجيش المغربي بتلمسان بالأسلحة والذخيرة والمدافع، بل أصر على اعتبار تلمسان تابعة له في الأصل، وقد تمت معارضته بتصريحات الباي السابق حسن التي أكد فيها تبعية تلمسان لسلطان اسطمبول⁸⁴.

أمام السياسة الحازمة لكلوزيل تجاه المغاربة، وتخوف مولاي عبد الرحمن من رد الفعل الفرنسي فإنه سحب ممثله وجنوده بعد حوالي 3 أشهر من دخول تلمسان، ولكنه قد أرسل بشكل غير رسمي أحد عماله إلى تلمسان ومعسكر، وهو أحمد ابن العامري مع قيادات المخزن مصطفى بن اسماعيل وموسرلي إلى معسكر، وسيلعب هذا العامل أحمد ابن العامري دورا هاما في الدعوة للجهاد ومحاصرة الأتراك ومقاومة الفرنسيين، ولكنه كسابقه لم يسلم من الوقوع في تجاوزات تخص الجباية، زادها عدم تفاهمه مع بعض أعيان قبائل الحشم وأغتيه السابقين من الدوائر والزمالة، فضلا عن الفوضى السائدة، وتحت الضغط الفرنسي سرعان ما تم استدعاؤه من قبل السلطان، وسيختفي أثر المغاربة نهائيا من البايك.⁸⁵

6- مأزق مدن البايك: من أهم نتائج الغزو الفرنسي، هو انتقال مركزية التأثير بسرعة من المدن إلى الأرياف، ما يعتبر معاكسا للواقع السائد آنذاك، فالعلاقة الغالبة التي كانت موجودة بين المدينة والريف ترجح لصالح الأولى، نظرا لوجود مركز السلطة بها، ولكونها حاضرة ومنطلقا لتسيير العنف، وهذا ليس خاصا بالجزائر فقط، بل يتعداه إلى المغرب عموما، يتضح ذلك على المستوى الداخلي للمدن، وفي علاقاتها "الخارجية" مع الأرياف المجاورة، حتى أصبح البعض يصفها بالجهاز الطفيلي الإستغلالي الذي يتعاضم كلما زاد ضغط السلطة على الأرياف⁸⁶، لذا نجد بأن هذا سيشكل دافعا من بين دوافع سياسية وإقتصادية أخرى، لمحاصرة هاته المدن من قبل سكان القبائل والأرياف المجاورة بمجرد ارتباكها، واتضح ذلك جليا مع انهيار حكم الأتراك، ما سيجعلها تشهد انقسامات حتى على نفسها بين الحضر والأتراك والkraïgla، ومعظم أتراكها وكراغلتها قد اختاروا طوعا أو دفعوا بفعل تراكمات الماضي إلى اختيار الخضوع للفرنسيين بشكل مباشر أو غير مباشر، وبالتالي فإننا نجد سيناريوهات المدن كانت متقاربة مع بعض الاختلافات.

في وهران فرغت المدينة من سكانها⁸⁷ لرفض معظمهم الفرنسيين باستثناء جزء من الأتراك والkraïgla الذين دخلوا في خدمتهم وفي خدمة التوانسة، والحقيقة أن القادة الفرنسيين قد استغلوا هذا الجانب لكسب ود الأخيرين فقد بعثوا بـ 250 تركي إلى مستغانم

لضمان ولائها وكان من بينهم إبراهيم بوشناق الذي سيصبح باي مستغانم، وإلى تلمسان كذلك لربط الاتصال بأتراك وكراغلة المشور بقيادة برسالي، ومونوهم بالأسلحة والأموال للوقوف في وجه المقاومة الريفية.

وفي معسكر فقد شكل "قطع رؤوس" حوالي 200 تركي وكرغلي يكونون الحامية التركية بالمدينة من قبل العرب و"بعد تسليمهم"⁸⁸، حدثا ومنعرجا حاسما قضى على حلم أي توافق ممكن بين الطرفين، وعلى الثقة المهتزة أصلا، بل وزاد من تنامي الأحقاد ورسخ القواعد الموروثة أكثر فأكثر، ولكنه مكن من تحول معسكر إلى عاصمة "عربية" لإدارة المقاومة ضد الأتراك وضد "المسيحيين" لغاية احتلالها في 1835.

وفي مستغانم أغلق سكان المدينة بمختلف مكوناتهم على أنفسهم، كنتيجة للغارات والهجمات التي كان يقوم بها سكان الأرياف والقبائل المجاورة، برفقة سكان مزغران المدينة الصغيرة المجاورة من أجل إسقاط المدينة على غرار باقي مدن البايك ولكن بشكل أكثر حدة⁸⁹، ولكن بعد وصول الأتراك من وهران بقيادة القائد إبراهيم بوشناق الذي كان يحمل حقدا شديدا على العرب، عمل على تحصينها وإفشال كل الهجمات ضدها خاصة تلك التي كانت بقيادة ابن العامري، هذه الهجمات رغم قوتها واستمراريتها لم تنجح إلا في كسر الإئتلاف الموجود بين الأتراك/الكراغلة والحضر، هؤلاء الأخيرين الذين غادروا المدينة إلى مزغران لتلبية دعوة الجهاد التي قام بها ابن العامري مدعوما بالشيخ محي الدين والد الأمير، وسيستمر الوضع حتى بعد مبايعة الأمير الحاج عبد القادر الذي سيحاصر المدينة رفقة قبائل المنطقة بدوره ولكن دون جدوى، بسبب استماتة الأتراك والكراغلة وقوة تحصيناتها والإمدادات والأموال التي كان يبعث بها الجنرال بوايه، ومن بعده خليفته دو ميشال إلى إبراهيم بوشناق عبر البحر، وعدم امتلاك المقاومين للوسائل اللازمة، وأمام خوف الجنرال دو ميشال من سقوط المدينة وأرزويو في يد الأمير سارع إلى احتلالها في 1833 وتسلم القيادة من إبراهيم بوشناق، وستصبح المدينة منطلقا لكل العمليات بالباييك.

وفي تلمسان، يتكرر مشهد مستغانم، ولن يضاف إليه إلا تفاعلات التدخل المغربي، فمواقف ساكنة تلمسان قد انتظمت حسب مكوناتها الإثنية والاجتماعية، فالكراغلة والأتراك بقيادة برسالي، وبعض أفراد المخزن بقيادة مصطفى بن إسماعيل كممثلين للحكم

المهّار تحصنوا بالمشور، محل ثقتهم الوحيد في ظل هذا الوسط، أما الحضّر (أندلسيين وعرب) فقد كان يقودهم بن نونة. وقد أثرت تراكمات الماضي أولا والانتماءات الاجتماعية فضلا عن تأثير التدخل المغربي على اتخاذ المواقف، وهذا رغم المحاولات العرضية للوحدة التي كان يملها ضعف الحال والموقف لا الرغبة الحقيقية في التوحد⁹⁰، لأن التراكمات تفسد جهود رجال الدين في الصلح وجمع الكلمة، وكذا دور الفرنسيين في تغذية الخلافات الموجودة أصلا وتضخيمها، وسيستمر صمود الكراغلة والأتراك بالمشور رغم توالي النكبات بهم من قبل المغاربة والحضر والقبائل المجاورة، والأمير، كل ذلك بفضل حصولهم على الإمدادات من قبل الفرنسيين.

خاتمة: إن طبيعة نظام حكم الأتراك القائم على أساس فكرة "الإقطاع العمودي" النازل من القمة للقاعدة، والإدارة العسكرية القمعية للبايلك، مكن من ظهور مجموعات منتفعة أحاطها به بل وربط مصيرها به، على غرار قبائل المخزن وفئات إجتماعية بالمدن وبعض الطوائف الدينية، وهو ما جعل الضغط يقع على الجهة المقابلة المتمثلة في قبائل الرعية، ساكنة الأرياف، والطوائف الدينية راديكالية التوجه، التي ما انفكت تعمل بكل قوة على قلب التوازن المبني على هذه الثنائيات، ما جعل تماسك المجتمع والسلطة هشاً ومفروضاً بالقوة، ومع تراجع المبررات الدينية جهاد الإسبان وتزايد الضغط بسبب نقص الموارد، لم يكن البايلك بحاجة إلا لحدث ما داخلي أو خارجي من أجل كشف هشاشة توازن هذه الثنائيات وقلب المعادلة، الأمر الذي أدى إلى تباين حتمي للمواقف تجاه هذا الحدث المتمثل في الغزو الفرنسي، فباعثه أزمة أجلت الحقائق ورفضت أنصاف المواقف، حاولت مكونات النظام المنهار (أتراك، كراغلة، مخزن) الحفاظ على "البناء القديم" عبر التمسك به وإعادة بعثه من جديد، لتلعب دور "الدولة العميقة" في المرحلة الجديدة ولو بمساعدة من المحتل، بينما تطلعت القوى الجديدة النائرة لتكوين كيائها عبر التخلص من بقايا النظام السابق، وتأكيد شرعيتها ووطنيتها عبر مقاومة الإحتلال الأجنبي، وطرح مشروع "دولة عربية" محلية بادر بها الأمير الحاج عبد القادر، والتي لم يكن المحتل الفرنسي ليقضي عليها لولا المشاركة الحثيثة لبقايا النظام السابق.

الهوامش:

1. T.S.É.F.A, (tableau de la situation des établissements français en algérie), 1837, p 07.

2. حسن بن موسى الباهي آخر بايات وهران، أُجْمِعَ على دمويته وجوره وجشعه، لم نجد من يزكّيه إلا حمدان خوجة حينما ذكر أنه يحكم "...يعطف أبوي، فلا يفرض على الشعب إلا ضرائب قليلة، ولا يستعمل العنف ضده أبداً ... وكان السكان يعترفون له بالجميل..."، مخالفاً كل الكتاب والتقارير التي نقلت عكس ذلك؟؟؟، ينظر: محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتق المهدي البوعبدلي، سلسلة الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013، ص 309-327/الأغا بن عودة المازري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح ودراسة د. يحي بوعزيز، دار البصائر، ط 1، 2007، الجزائر، ج 1، ص 347-349/حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تق وتغ وتغ د. محمد العرب الزبيري، دار الحكمة، ط 2، الجزائر، 2014، ص 172.

3. بورصالي (برسالي) واسمه بن عودة، خليفة الباي حسن بوهران وتلمسان، كان "...كرغليا متعصبا..."، تميز بكرهه الشديد للعرب، فهم حسبه "...غدارون، لا نضع ثقتنا فيهم أبداً..."، لعب دورا بارزا في عدم سقوط قلعة المشور بتلمسان بين يدي الحضرة والأمير، ترأس باستمرار مع الجنرال بوايه Boyer، اصطف مع الفرنسيين ضد المقاومة، ينظر رسائله في: A.S.H.D, (Archives du service historique de la défense), S/S 1H6, Dossier 2.

4. حسب تقرير بوايه في 21 سبتمبر 1831، توقع الداوي نزول جزء من الأسطول بالمرسى الكبير، فطلب عدم إرسال أي جندي إلى الجزائر، وأوصى بتحصين وهران والمرسى، ينظر:

Paul Le Franc, *Le general Boyer; commandant en chef à Oran*, Oran, Imprimerie L. Fouque, 1932, p 23.

5. يتوهم كور Cour أن برسالي لم يغادر المدينة ولم ينب عن الباي حسن لأداء "الدنوش" أو "اللازمة"، وذلك مخالف لرواية المازري والرواية الرسمية الفرنسية، ولرواية الحاج أحمد باي في مذكراته، ينظر أحمد باي، مذكرات أحمد باي، ترجمة محمد العربي الزبيري، د.ت، ص 12.

A. Cour, « *L'occupation Marocaine de Tlemcen, (Septembre 1830, Janvier 1836)* », in: *R.A*, N° 268, 1ère trim 1908, p 33.

6. يقول المازري: "...ولما دخل وهران أغلق أبوابها وأصبحت الناس بين القيل والقال، وحصلت العداوة بين الناس في بعضها بعض، وسدت الطرق بالويل والنكال..."، ينظر: الأغا بن عودة المازري، المصدر السابق، ج 2، ص 85.

7. حسب بوعلام بسايح فإن "...موقف الإنتظار هذا الذي اتخذته الباي، السيد البليد، لم يكن له أي معنى سياسي..."، ينظر: بوعلام بسايح، الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا، من لويس فيليب إلى نابليون الثالث، ترجمة خليل أحمد خليل، مراجعة بوعلام بسايح، ط وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 20.

8. حسب د. سعيدوني فإن "...نهاية الجزائر العثمانية كانت حتمية تاريخية فرضها اختلال التوازن الخارجي، وانعدام الحركية والتفاعل الداخلي، وحدث الانسداد الكلي الذي أصبح معه نظام الحكم فاقد القدرة على أخذ المبادرة..."، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق (مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية)، عالم المعرفة، الجزائر، 2007، ص 176.

9. استنتج برنارد كابورال في دراسته، أنه مع مطلع القرن 19 "...بدا واضحا بأن عهد الانقلابات قريب جدا، كان هناك احساس وتكهن بأن تطورا راديكاليا يتحضر في الإيالة..."، وبالنسبة له أن التدخل الفرنسي "...لم يقم إلا بتسريع نهاية الهيمنة العثمانية بالجزائر..."، وأن "...الانحياز الكبير لثورة درقاوة ترجمت وجود عداوة معلنة تجاه الأتراك..."، ينظر:

Bernard Caporal, *Oran capital du beylik de l'ouest (1792-1831)*, Alger, Éditions Alpha, 2012, p 416-10. T.S.É.F.A, 1837, p 08.

11. أرسل النقيب دي بورمون (ابن قائد الحملة) لتلقي ولاء وخضوع الباي حسن، بمساهمة اليهودي عنج ع/حمّار، ينظر: E. Pélissier De Reynaud, *Annales Algériennes*, N Éd, Paris, J.D. L Éditeurs de l'Empreur, Alger, Librairie Bastide, 1854, TI, p104./Paul Le Franc, *op.cit*, p 25-12. T.S.É.F.A, 1837, p 09.

13. الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 2، ص 85.
- E. Pélissier De Reynaud, *op.cit*, T I, p 108-109.-----14. E. Pélissier De Reynaud, *Loc.cit*.
15. E. Pélissier De Reynaud, *Loc.cit*. Voir aussi: C. Kehl, «*Oran et l'oranie avant l'occupation française*» in *B.S.G.A.O.*, Tome 63, 1942, p 55-56.
16. هذا حسب رواية المزاري، ورغم أن الحاج المزاري أحد أعيان المخزن رفض البقاء بوهرا بعد نزول الفرنسيين والتحق بالمغرب، لكن يبدو ذلك مستبعدا من الباي حسن ومن بقية مخزنه الذين كانت لهم حساسية بالغة مع المغرب، يدل على ذلك بأن الباي قد أكد للفرنسيين بعد إبعاده تبعية تلمسان لسلطان إسطنبول وليس لسلطان المغرب، وذلك عندما حاول هذا الأخير إقناع الفرنسيين بأن تلمسان تعود له، وبالنسبة لمخزنه خصوصا الأغا مصطفى بن إسماعيل الذي عامله مولاي علي مبعوث السلطان بإذلال وكذا موسرلي، واستولى على قطعانهم، لم يدخل تحت طاعة المغاربة بعد ذلك (حين أصبح أغته ابن العامري مبعوث السلطان المغربي بمعسكر) إلا «...لانتفاذ رأسه...» كما ورد في مراسلة للجنرال بوابيه، ثم إن مختلف الروايات الأخرى تدل على أن حضر تلمسان والقبائل العربية هم من أرسلوا له بذلك، والفيصل في الموضوع هو الرسالة التي نشرها عبد الجليل التميمي التي تؤكد أن مولاي علي أبلغ الباي حسن «...أنه إذا غادرتهم الصف الفرنسي حالا ووليتهم وجهكم نحونا، فإننا نضمن لكم الأمان التام...، وإذا رفضتم الانقياد سوف أهاجم عليكم وأستولي عنوة على مدينة وهران...»، ينظر: الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 2، ص 88/ المهدي البوعدي، «موقف ملك المغرب من الجزائر اثر الاحتلال الفرنسي»، مجلة الأصالة، س 4، ع 28، المجلد 12، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2012، ص 18/ عبد الجليل التميمي، «مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة 1831»، مجلة الأصالة، س 5، ع 32، المجلد 13، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2012، ص 35.
- A.S.H.D, S\S 1H6, Dossier 2,3/M. Le Colonel Walsin Esterhazy, *Notice Historique Sur Le Mekhen D'Oran*, Oran, Typographie du Berrier, 1849 (1851), p 16.
17. شارل ه. تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تروتي وتع أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 51.
18. عبد السلام فيلاي، الجزائر الدولة والمجتمع، دار العربي، ط1، الجزائر، 2013، ص 82.
19. قد يرفض البعض التقسيم العرقي بحجة أن هذه الثنائية تشير إليها الكتابات الفرنسية، ولكن في الحقيقة قد أشارت إليها أيضا كتابات غير فرنسية، بل وعديد المصادر العربية مثل حمدان خوجة، حين يشير لتلمسان «...وهي الآن أهلة بالسكان الذين ينقسمون إلى صنفين: الأتراك والعرب أو الأهالي...»، كما أشار إلى أن التمييز بين المكونين أساسا كان لغايات سياسية وليس عنصرية عرقية، لأن هناك دينا واحدا يجمعهما، ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 95.
20. كوهرا، تلمسان، مستغانم، مازونة، ندرومة، القلعة (قلعة بني راشد)، معسكر، مازونة.
21. محفوظ قداش، «الجزائر في العهد التركي»، مجلة الأصالة، س 6، ع 52، المجلد 18، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2012، ص 03، 14.
22. بالنسبة لعبد القادر بوطالب فإن الجزائريين «...كانوا يسمحون بهذا الوجود أكثر مما كانوا يقبلونه...»، والكاتب وإن كان في نظرنا صائبا فيما اقتبسناه عنه أعلاه، إلا أننا نرى بأنه قد بالغ كثيرا في تحليله فيما بعد عندما ينفي صفة الدولة بالكلية عن «السلطة التركية» ما قبل 1830، وعندما يصف الوجود بالاحتلال البحث، فهو بذلك يتبنى نفس أطروحة بعض المؤرخين الإستعماريين (نرى أنه اعتمد كثيرا على جوليان)، لأن «خصوم» العثمانيين-الأتراك أو «منافسهم» لم يستطيعوا إقامة دولة خاصة بهم، ولأن إبراز دولة الأمير. لا يكون بإنكار الدول السابقة لها، مهما كانت طبيعتها (ولو جمهورية عسكرية)، شرعيتها (ولو ناقصة)، سلطوتها (ولو دكتاتورية)، وحقيقة وطنيتها (ولو كما ظهرت في أبأس صورها عند الغزو في 1830)، ولكن هذا دون مغالاة كالتى يذهب إليها د. محمد العربي الزبيري حين يؤكد أن الجزائر «...كان نظام الحكم فيها مؤسسا على الشورى...»، وأن «...الدولة لم تكن تركية، ومسؤولها لم يكونوا أتراكا بل مسلمين...»، بشكل يجعلنا نتساءل عن مظاهر هذه «الشورى» التي

أبعدت "المسلمين العرب"، وعن الصفة التي تصرف بها هؤلاء الحكام كـ أتراك أم كـ مسلمين؟ ينظر على التوالي: عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية (من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير)، تقديم ش. ر. أجرون، (منشورات) دحلبي، الجزائر، 2009، صص 17-29/ محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، دار الحكمة، ط 1، الجزائر، 2014، ص 66، و 74.

23. بالنسبة لحربي محمد فإن وجود الأتراك بالجزائر لا يمكن تعريفه بالإستعمار، لأنه لم يبن على فكرة التريك، كما لم يكن ذا غايات استيطانية، وبالنسبة لـ جاك بيرك فإن النظام العثماني كان مغلقا وعارض أي شكل من الإدماج فيه، عكس النظم الإستعمارية التي تعمل على الإدماج والتجنيس، ولكن بالنسبة لأبو القاسم سعد الله فإن "...كانت عملية التريك قد برزت حادة في المشرق العربي... فإنها في الجزائر قد ظهرت بحدّة أيضا، ولكن في شكل «العثمانيّة» لا التريك...". لتحليل أكثر حول ذلك، ينظر: عبد السلام فياللي، المرجع السابق، ص 70 وما يليها، وأيضا أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، ط 1، الجزائر، 2007، ج 1، ص 182-183-24. في نظرنا أن السلطة الحاكمة في الجزائر قد بدأت "عثمانية" بكل ما تحمله الكلمة من بعد إسلامي جهادي إحتوائي تسامحي واسع، وانتهت "تركية" بكل ما تحمله الكلمة من بعد عنصري تعصبي ضيق... 25. بالنسبة للدين واستغلاله كوسيلة تخدير فقد أبدع فيه الأتراك، من ذلك أنهم "...لزموا أنفسهم احترام هؤلاء المرابطين، وإنما صاروا يقدمون لهم أكبر الإمتيازات وأثمنها...". نفس الأمر ستقوم به الإدارة الإستعمارية فيما بعد، ينظر صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، الألفية للنشر والتوزيع، ط 1، قسنطينة، ص 558.

26. سقط مارسال إيمري في فخ التضخيم والمغالطة، حين ذهب إلى وجود "صراع بين الأعراق في البايك" ونفى صفة "المقاومة الوطنية" ضد فرنسا على ما قام به الأمير، لكونه قام به ضد الأتراك أولا، ولكون أن الدرقاوي وغيره قد قام بمثيله ضد الأتراك: "...لم توجد هناك حركة وطنية عمل (وطني) ضد المحتل الصليبي (المسيحي) والذي لم نعرفه إطلاقا...". ينظر: Marcel Éméri, *L'Algérie à l'époque d'Abd-el-kader*, Paris, G.G.A, Collection des documents inédits sur l'histoire de l'Algérie, Éditions LAROSE, 1966, p 14.

27. لذلك يرى البعض أن لديهم قدرة كبيرة على التكيف مع المحيط، لقد "...استغل الأتراك الأفكار السياسية والدينية السائدة في شمال إفريقيا في تثبيت أقدامهم هناك...". ينظر عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت، 1409 هـ/1989 م، ص 108-28. اعتبر مارسال إيمري بأن أربعمائة ألف جندي فرنسي خلال الثورة، لم تستطع تحقيق نتائج 3661 جندي إنكشاري في 1829، مما يدل على نجاح الأسلوب التركي المتبع في سياسة "الأهالي"، وهو المتبع من قبل فرنسا في بداية الإحتلال، ينظر:

Marcel Éméri, « *Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle* » in: Annales. Économies, Sociétés, Civilisations. 21^e année, N° 1, 1966, p 45.

29. يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، ترج وتقي أبو العيد دودو، دار الأمة، ط 1، الجزائر، 2008، ص 61.

30. بالنسبة لصالح عباد فإنه قد "...اتضح انعزال الأتراك عن المجتمع الجزائري حين سقطت مدينة الجزائر بيد الفرنسيين، ففي الوقت الذي تصالح فيه هؤلاء وأبنائهم الكراغلة مع الفرنسيين، قام الجزائريون بدافعون عن بلادهم دون قادتهم القدامى باستثناء بعضهم...". ورغم تقاطعنا معه فيما ذهب إليه إلا أنه لا يجب تعميم المسألة على الكل، فمثال الحاج أحمد باي وحمدان خوجة وبعض كراغلة بايك الغرب الذين التحقوا بمقاومة الأمير واضح، ينظر: صالح عباد، المرجع السابق، ص 548.

31. يوهان كارل بيرنت، المصدر السابق، ص 61.

32. بالنسبة لعزیز سامح التر فإن تشدد الإدارة وسلطويتها كانت إيجابية، بشكل جعل الجزائريين يحنون إليها خلال العهد الإستعماري الفرنسي، "...ولكن أثناء الإدارة التركية كان السكان المحليون يريدون التخلص من هذه الإدارة الشديدة، فقد أعلنوا عليها الثورات...". ولكننا لم نلمس لدى الجزائريين هذا "الحنين إلى السلطوية" التي تحدث عنها سامح التر، بقدر ما لمسنا لديهم "الرغبة في استقلاليتهم"، ينظر: عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 656-33. يوهان كارل بيرنت، المصدر السابق، ص 61.

34. E. Pellissier De Reynaud, *op.cit*, T I, p 97.

35. هذا الموقف يشاطره د. أحمد مريوش فحسبه أن فرنسا "لم تخف عليا بنية المجتمع الجزائري ومقوماته الدينية واللغوية والاجتماعية وحتى التاريخية...". لذلك كانت صياغة البيان "تتلاءم والمفاهيم الجزائرية...". ينظر على التوالي: أبو القاسم سعد الله، الحركة... مرجع سابق، ج 1، ص 183/د أحمد مريوش، الهوية وقضايا الثقافة في الجزائر بين تحديات الأمس وتوجهات اليوم، كنوز الحكمة، الجزائر، 2016، ص 79.

36. حسب مارسال إمري لا يمكن الحديث عن طبقات إجتماعية بالمفهوم الأوروبي أواخر العهد التركي، بل عن جماعات مختلفة، لأن الملاحظ "في الأرياف، فإن نظام الملكية الجماعية للقبائل قد أعاق تكون طبقة إجتماعية واعية بمصالحها، وفي المدن فإن تقسيم العمل غير موجود بقوة لكي يسمح بإيجاد رأسمالية و بروليتاريا حقيقية...". ينظر: Marcel Émerit, « *Les tribus ..* », *op.cit*, p 44.

37. يمكن لنا طرح التساؤل: مادام أنه كان طبقة متماسكة فلماذا تفككت هذه الطبقة بسرعة البرق أمام مجرد بداية غزو؟ وكيف يكون هناك تمردات وثورات دائمة ومستمرة على إدارة هي جزء من "مجتمع موحد ومستقر"؟ والثورة في حد ذاتها دليل على وجود انقسامات اجتماعية بارزة ومتعددة، خاصة إذا امتزج معها بعد قومي، كالذي نستشفه مثلا من ثورة درقاوة...؟ فضلا عن أن الكاتب يناقش نفسه حين يؤكد: "...وهكذا عرفت دائرة المعارضة والمقاومة الداخلية اتساعا كبيرا، فلم يعد بإمكان الحكام قمعها، وكانت النتيجة النهائية ضعف الحكم العثماني وزواله، بعد أن ترك مجتمعا مشتنا تسوده روح الإنتقام، مما صعب على قادة المقاومة توحيد صفوفه...". ينظر أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (926-1246 هـ 1519-1830 م)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص 72.73.76.299، "نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)", دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص 79-80.

38. لقد وردت هاته التسميات والأوصاف في كثير من كتب ومراسلات الفترة التي درسناها.

39. بالنسبة لدينيون: "...كان العرب يحتقرون سكان المدن، لذلك فإن مكانهم لم تكن ترتفع كثيرا عن مكانة اليهود...". ينظر:

أ. ف. دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تروتق د. أبو العيد دودو، شركة دار الأمة، ط 1، الجزائر، 2008، ص 22.

40. E. Pellissier De Reynaud, *op.cit*, T I, p 05.---- 41. *Loc.cit*----42. *T.S.É.F.A*, 1837, p 11.

43. *Ibid*, 1837, p 07.

44. أحمد توفيق المدني، «أبطال المقاومة الجزائرية حمدان خوجة - أحمد باي قسنطينة - الأمير عبد القادر (الدولة العثمانية)»، مجلة التاريخ، ع 4، م و ن ت، الجزائر، 1977، ص 40.

T.S.É.F.A, 1837, p 11.

45. محمد غالم، «مدينة في أزمة: مستغانم في مواجهة الإحتلال الفرنسي 1830-1833»، إنسانيات، عدد 5، 1998، ص 71.

46. الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 2، ص 95.

47. M. Le Colonel Walsin Esterhazy, *op.cit*, p 12.

48. ناصر الدين سعيدوني، «دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر»، مجلة الأصول، س 5، ع 32، المجلد 13، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2012، ص 50.

49. هذا ما جعلهم على غرار الأتراك والكراغلة، يعرقلون مشروع الأمير الحاج عبد القادر. "...لقد وجد الأمير عدوا عنيدا أيضا مثل الأتراك والكراغلة في قبيلة الدوائر وفي رئيسها مصطفى بن إسماعيل ومزاري...". رأوا أنه لا يليق بكرامتهم أن يحكمهم وصولي عربي، ومع ذلك تفوق عليهم الأمير بعد معارك دامية ودحرجهم فخضعوا له صاغرين...". مع العلم أنه في تقديرنا يجب أن نفرق بين بن مصطفى بن إسماعيل والحاج المزاري، ينظر: يوهان كارل بيرنت، المصدر السابق، ص 65.

50. عبد السلام فيلاي، المرجع السابق، ص 80.---- 51. الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 2، ص 94.---- 52. الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 2، ص 87. ينظر كذلك:

M. Le Colonel Walsin Esterhazy, *op.cit*, p 13.

53. لا يجب هنا التعميم على كافة أفراد قبائل المخزن، لأنه يتناقى مع التاريخ العلمي، بل نقصد جزءا من قبيلتي الدواير والزمالة. لأنه داخلهما كانت هناك ميوعة في الإنتقال من وإلى المخزن، فمثلا قد "خرج أهل تليلات وسبق من دائرة المخزن ودخلوا في دائرة الأعراب النائية التي لا تطبق على الكر والفر...". كما سنرى لاحقا بأن عدة خيام منها غادرت أراضي استيطان الدواير والزمالة لتلتحق بالأمير من بعد معاهدة الكرمة 1835، وفي نظرنا فإن مواقف الحاج المزاوي كانت تختلف كثيرا عن مواقف مصطفى بن إسماعيل، ولولا "مكائد" بعض المحيطين بالأمير الذين غلبت عليهم سطوة الإنتقام على التنازل لبناء الدولة الوطنية، لكان لتاريخ مقاومة الأمير سيناريو آخر، ينظر: الأغا بن عودة المزاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 93.

54. M. Le Colonel Walsin Esterhazy, *op.cit*, p 12.

55. الشيخ محي الدين ذو الشخصية الإستيعابية حسب المزاوي دعا إلى تولية مصطفى بن إسماعيل كأمر على القبائل لكنه رفض، ولكن الأمر سيختلف مع الشخصية الحازمة للأمير، ينظر: الأغا بن عودة المزاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 100.95.

56. صالح عباد، المرجع السابق، ص 63.

57. A. Cour, «*op.cit*», p29.

58. فتية لواليش، الحياة الحضورية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، السنة الجامعية 1993-1994، ص 126-127.

59. T.S.É.F.A, 1837, p 08- 09.---60. *Ibid*, p 11.

61. أ.ف. دينيزن، المصدر السابق، ص 34.

62. T.S.É.F.A, 1837, p 11.

63. البعض يسميها "حماية" تونسسية على وهران (دومونتاس ود. التميمي)، وهذا فيه نظر، لأنها ليست إلحاقا بهم، ولأن فرنسا لم تمنحهم إلا صلاحيات تحت سيادتها ونظرها، ونشاط حمدان خوجة حين وصفها بالبيع: "...والتونسسية عوض ما عينونا كانوا اشتروا قسنطينة وهران من الفرنسيين بغير مولانا السلطان، والتزموا أن يعطوا الفرنسيين مالا سنويا، فعاقبهم مولانا السلطان نصره الله وفسخوا ذلك البيع...". ينظر على التوالي:

Demontès. V, «*Un essai de protectorat tunisien à Oran 09 février – 22 aout 1831.*» in: R.H.C.F. 11^e année, T X, 1923. pp. 251-288.

- عبد الجليل التميمي، «المرجع السابق»، ص 31-45: أحمد توفيق المدني، «أبطال...»، المرجع نفسه، ص 39.

64. C.A.G.D.O, (collection des actes du gouvernement depuis l'occupation), p 62-64.

65. قد أسر كلوزيل إلى بارتيزين أن الهدف من تعيين التوانسة على البايك ليس عقد اتفاقية سياسية وإنما قضية استفادة الخزينة من مبلغ مالي، ينظر: عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 39.

66. T.S.É.F.A, 1837, p 11.

67. أحمد باي أو "سيدي أحمد" هو أحد أمراء قصر تونس وابن أخ الباي الحاكم، في الحقيقة أنه لم يسافر أصلا للبايلك، وإنما اكتفى بإرسال أغته خير الدين ليرى سيرورة الأمور ثم يتبعه هو من بعده.

68. A.S.H.D, S\Série Série 1H6, Dossier 2.

69. الأغا بن عودة المزاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 91-70. حسب دينيزن فقد استفاد التوانسة من الأتراك والكراغلة السابقين للباي، ولكنهم لم يستطيعوا اكتساب زعماء المخزن الذين مالوا إلى خدمة السلطان المغربي، ويورد التميمي رقم 465 تركي خدموا باي تونس وتميزوا بكثرة المشاغبة، ينظر ف. دينيزن، المصدر السابق، ص 37: عبد الجليل التميمي، «المرجع السابق»، ص 40.

71. A.S.H.D, S\Série Série 1H6, Dossier 2.---72. T.S.É.F.A, 1837, p 11.

73. الأغا بن عودة المازري، المصدر السابق، ج 2، ص 94-74. هناك تقرير للجنرال لوفول Lefol حول مجازر 28 أبريل التي نظمتها الحامية التركية والتونسية، وحسبه فإن خير الدين كان يصلح لإدارة قصر الباي وليس لبايك وهران، ينظر: عبد الجليل التميمي، «المرجع السابق»، ص 43.
75. *T.S.É.F.A*, 1837, p 11.----76. *A.S.H.D*, S\Série 1H9, Dossier 3.
77. أصدر الجنرال بارتيزين Berthézène قرارا بإلغاء كل رخص التصدير التي منحها خير الدين التونسي والباي حسن سابقا، نتيجة تورطهما في التمويل مع اليهود والقناصل الأجانب فيها، ينظر: *C.A.G.D.O*, p 143-144.
78. *T.S.É.F.A*, 1837, p 10, 11.
79. شارل ه. تشرشل، المصدر السابق، ص 54، وأيضا: *A.S.H.D*, S\S 1H5, Dossier 6, S\Dossier 1.
80. وذلك في مناسبتين متواليتين بتاريخ 10/29، و10/20/11/1830، ينظر *A.S.H.D*, S\Série 1H5, Dossier 7, S\D 2.
81. حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 94. وكذلك: الأغا بن عودة المازري، المصدر السابق، ج 2، ص 94.
82. *T.S.É.F.A*, 1837, p 09.----83. *A.S.H.D*, S\S 1H5, Dossier 7, S\D 2.
84. *A.S.H.D*, S\S 1H6, Dossier 1, S\D 3 ; S\D 4 ; Dossier 2.----85. A. Cour, *op.cit*, p 29 & suite.
86. فتية لواليش، المرجع السابق، ص 98-87. قدر عددهم في الأقصى بما يقارب 25000 نسمة.
88. استغل الجنرال بواييه القائد الفرنسي بوهران هذه المسألة جيدا، فباعته قد خدم في مصر قبلًا فإنه يعرف العقلية العربية والتركية جيدا، وعمل على مراسلة الأتراك والكراغلة بكل من مستغانم وتلمسان لكي يستميتوا في الدفاع عن المدن ضد العرب وعدم تسليمها لهم، "أنا في مراسلات مع قادة هاته الجامعات، لن يسلموا أبدا للعرب، الذين سيبيدونهم عن آخرهم إذا ما أرادوا تخليّة مدنها والانسحاب إلى وهران...."، ينظر: Paul Le Franc, *op.cit*, p 31.
89. للمزيد من التحليل حول ما وقع بمدينة مستغانم، ينظر على التوالي: محمد غالم، *المرجع السابق*، صص. 65-85/ بن يوسف محمد الأمين، «دور قبائل منطقة مستغانم في مقاومة الغزو والتوسع الاستعماري الفرنسي (1830-1847)»، ندوة وطنية حول "جرائم الإحتلال الفرنسي في منطقة مستغانم"، جامعة مستغانم، 16 أبريل 2018.----90. على سبيل المثال فقد شارك أعيان الكراغلة بقيادة بورسالي والمخزن بقيادة مصطفى بن إسماعيل، في وفد حضر تلمسان بقيادة بن نونة في الوفد المبعوث للسلطان المغربي مولاي عبد الرحمن، من أجل الموافقة على الدخول في خدمته، بينما نجد أن الموقف الحقيقي لكراغلة تلمسان كان رافضا للنفوذ المغربي، للمزيد حول ذلك: A. Cour, *op.cit*, p33.